تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه

في وسائل الإعلام

إعداد

د. محمد بن حسن سبتان

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة

جامعة الملك خالد - بأبها

مقدمة
شاهد حضاري في عناية المملكة بالقرآن وعلومه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . . .

لقد عززت المملكة العربية السعودية جهودها العديدة بالاهتمام بالقرآن الكريم ونشره في أنحاء قريبة وبعيدة من العالم الإسلامي، وذلك عن طريق مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

وقد اكتسبت هذه الجهود دفعتها القوية بمبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وذلك في الماضي والحاضر حتى كان آخر هذه المجهودات الرفيعة القدر طباعة المصحف الشريف بطريقة (برايل) حتى تمكن المكفوفون من قراءته. وهو دور حيوي تحت مظلة عناية المملكة بالقرآن الكريم، وذلك يأتي في إطار الأريحية الفذة التي تتمتع بها المملكة والتي تعكس عزماً أكيداً على سد أي نقص وحاجة تظهر في العالم الإسلامي من خلال استقراء الأمور. وإذا كنا نتحدث في هذا البحث عن: (تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام) :

١- فإنه من الفخر أن يُذكر تبرع خادم الحرمين الشريفين بمبلغ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال لطباعة مصحف (برايل) الذي تشرف عليه الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة المعارف التي تضع هدفاً لها (مصحف شريف لكل كفيف) .

فهذه اللبنة العظيمة في بناء صرح تعليم القرآن الكريم ليست الأولى ولا هي الأخيرة إن شاء الله تعالى، إذ إنه عطاء متجدد منذ خمسة عشر عاماً يؤديه مجمع الملك فهد .. الذي أتاح للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الحصول على نسخة صحيحة من القرآن الكريم في وقت أصبح فيه ديننا مستهدفاً.

والأيدي الآثمة تسعى بالعبث في الآيات الكريمة بالتحوير مستهدفة بث التحريف، وبلبلة الأفكار ،وهز العقيدة. وتأتي مساعي المجمع لتبدد عبث الباطل وتهدئ من روع المسلمين .

٢- ومنذ نشأة المجمع عام ١٤٠٥هـ وحتى عام ١٤١٨هـ تم توزيع (١٠٥,٠٠٠,٠٠٠) مائة وخمسة ملايين نسخة من المصحف الشريف. (مصحف المدينة النبوية) الذي تتم طباعته برواية حفص عن عاصم إضافة إلى روايات أخرى يجري إعدادها. وحتى نهاية عام ١٤١٨هـ تم إنتاج (١٢٤,٢٦٧,٧٠٠) نسخة من الإصدارات كافة، وبأحجام وألوان مختلفة[١].

---

(١) يتم ذلك بمطبعة المجمع التي تعد من أكبر المطابع العالمية إذ تضم ثلاث آلات للطباعة الشريطية تبلغ سرعتها ما بين عشرين ألف إلى ستين ألف ملزمة في الساعة . ويتم صف الحروف بجهاز للحاسب الآلي يمكن استخدامه أيضاً لصف ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة .

وهناك ستون آلة حديثة في قسم التجليد وبينها إحدى عشرة آلة من أفضل آلات الطي في العالم ، كما توجد ثلاث آلات لتجميع ملازم المصحف تنجز الواحدة منها ستة آلاف مصحف في الساعة . هذا إلى جانب المقاطع الآلية التي تقوم بتفصيل مختلف أنواع الأغلفة سواء المصنوعة من الورق المقوي أم من الجلود الطبيعية .

٣- ولقد تم إنجاز ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغات عالمية بلغت إحدى وعشرين لغة وهي : الأسبانية ، والألبانية ، والإنجليزية، والإندونيسية ، والأردية، والآرومية ، والإيغورية ، ولغة البشتو، والبراهوئية ، والبنغالية ، والبوسنية، والتاميلية ، والتركية ، والصومالية، والصينية ، والفارسية ، والفرنسية ، والقازانية ، والكورية، ولغة المليباري ، ولغة الهوسا .

٤-كما اهتم المجمع بالتسجيلات الصوتية حيث تبلغ الطاقة الإنتاجية أكثر من أربعة ملايين شريط سنوياً. وتم تسجيل القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم بأصوات كل من :

الشيخ / علي بن عبد الرحمن الحذيفي .

والشيخ / محمد أيوب بن محمد يوسف .

والشيخ / إبراهيم الأخضر القيم .

والشيخ / عبد الله بن علي بصفر .

كما تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً برواية قالون عن نافع بصوت الشيخ الحذيفي، مع المعاني باللغة الآرومية، مع وجود خطة لتسجيل المعاني صوتياً باللغات الأخرى .

وتخرج هذه التسجيلات تحت إشراف لجنة من كبار العلماء من (استديو المجمع) المجهز بأحدث المعدات ذات التقنية العالية فنياً.

٥-يتعاون المجمع مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فيما يتصل

بأعمال مركز خدمة السنة والسيرة النبوية. ويجمع المركز الكتب والمخطوطات والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة وإعداد موسوعة الحديث النبوي، إلى جانب ترجمة بعض أمهات كتب السنة والسيرة. هذا إلى جانب مشروع برمجة الأحاديث النبوية على الحاسب الآلي ليسهل تخريجها وجمعها موضوعياً .

وهذا قليل من كثير نأمله في المستقبل مما قدرته العناية الإلهية للقرآن الكريم، وهذا ما لم -ولن- يحظ به كتاب قبله ولا بعده ؛ لأنه ذو أسلوب مؤثر بليغ ، ربى النفوس وارتقت به الهمم حتى فتحت البشرية حافظتها لتسجل، وقلوبها لتفقه، وعقولها لتتدبر، وعلى أكتاف حامليه اتسعت البلاد الإسلامية، وارتفعت منارات الحضارة حتى أفاد منها الغربيون وبَنَوْا حضارتهم..

وهاك خطوات البحث في هذا الموضوع:

المبحث الأول:

١- الإعلام الإسلامي من متطلبات العصر الحديث.

٢- وسائل الإعلام أداة تربوية تعليمية.

٣- كيفية الاستفادة من الإعلام في توجيه الشباب.

٤- وسائل الإعلام المرتبطة بتعليم القرآن الكريم وعلومه:

١- المسجد　　٢- المدرسة　　٣- الإذاعة

٤- التلفاز　　٥- الإنترنت

المبحث الثاني :

أولاً : الأسس العامة لتقويم أسلوب التعليم من القرآن الكريم .

١- أسلوب الحوار.

٢- أسلوب القصص.

٣- أسلوب ضرب الأمثال .

ثانياً : تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم في وسائل الإعلام .

ثالثاً : تقويم أساليب تعليم علوم القرآن في وسائل الإعلام .

رابعاً : برامج خاصة بالإنترنت .

أ- ترجمة معاني القرآن الكريم .

ب- القرآن الكريم يوافق التقدم العلمي ولا يعارضه .

خاتمة وتوصيات .

فهارس عامة .

المبحث الأول

أولاً : الإعلام الإسلامي من متطلبات العصر الحديث :

بما أن الإسلام دين عالمي الرسالة، وعالمي الدعوة كما قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : ١) فإن ذلك الأمر يتطلب إعلاماً واسع النطاق وشخصيات فذة تملأ هذا الوسع .

إذ أصبح الإعلام بوسائله المختلفة ومن خلاله لا يمكن أن تعيش دولة منعزلة عن الدول الأخرى دون أن يكون بينهما وسائل اتصال، فهو إذن من متطلبات العصر الحديث .

وحينما نعلم أن كثيراً من الدول تعاني من الحملات التنصيرية التي تهدف إلى رد المسلمين عن دينهم ، وزعزعة عقيدتهم السمحة ندرك أن الإعلام الإسلامي ضرورة من ضرورات العصر .

وتحت مظلة مفهوم الإعلام الإسلامي نجد معاني مشتركة عند المعرفين للإعلام الإسلامي، فيقول الدكتور محيي الدين عبد الحليم : "مدلول الإعلام الإسلامي : هو تزويد الإنسان بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي الحنيف المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وعرض مشكلات المجتمع الثقافية والاجتماعية والتعليمية من وجهة نظر إسلامية، من خلال رجل الإعلام الذي يتمتع بمعرفة واسعة

ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وصولاً إلى تكوين رأي عام صائب يعي ويدرك حقائق الدين الإسلامي اعتقاداً وعبادة ومعاملة"(١). ويقول الركابي: "إنه يتمثل في إعلاء كلمة الله عز وجل من خلال جميع وسائل الاتصال الممكنة في كل عصر من العصور والأزمنة، بحيث لا تتعارض تلك الوسائل مع الشريعة الإسلامية السمحة"(٢).

ويعرفه الشنقيطي بأنه: "إعلام يتضمن حياة الناس كافة المحكومة بشرع الله عز وجل، ومن ثم يشتمل على مضامين الوحي الإلهي"(٣).

نقول: هذه المعاني المشتركة عند المعرفين هي ارتكاز الإعلام الإسلامي في مضمونه على القرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية المطهرة، أضف إلى ذلك الأطر الفكرية، والاجتماعية، والإنسانية والتربوية المنبثقة من روح الإسلام وحقائقه وقيمه وضوابطه الشرعية بدءاً من ترسيخ الجانب العقدي لدى الناس بما يوافق الشرع ومروراً ببيان ما أحله الله سبحانه وأمرنا باتباعه، وبيان ما حرمه -عز وجل-

---

(١) أ.د/ محيي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية ط٢ مكتبة الخانكي بالقاهرة ١٤٠٤هـ، ص ١٤٠.

(٢) أ. زين الدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية ـ بحث منشور مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقدة بالرياض ١٣٩٦هـ، ص ٢٢.

(٣) الشنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، الرياض دار عالم الكتب ١٤٠٦هـ ص ١٨.

ونهانا عنه وأمرنا باجتنابه وانتهاءً بإزالة الغبار الذي يعكر به أعداء الإسلام على ثوابت الدين وإظهار ملامح الصورة الحقيقية لسماحة الدين وعمقه المتفق مع فطرة البشر مهما كانت الجنسية أو الطبقة ﴿ ... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

هم لا يعلمون مواكبته لفطرهم ، وقد أذن الله ورسوله لنا بما مكننا أن نبلغهم ونعلمهم حتى تسري حقيقة القرآن والسنة سريان الروح في الجسد في النشاط الإعلامي كله المقروء والمسموع والمرئي ، ومن ثم يصبح الإعلام الإسلامي حكماً موضوعياً تتحاكم إليه جميع النشاطات الإعلامية .

وهو في الوقت ذاته يحقق لأبناء الأمة الإسلامية –على الدوام– الاستقرار والتوازن، ويخلصها من التناقض والصراع الذي يعاني منه المسلمون في الغرب وبعض أفراد الأمة كلما ابتعدوا عن منهج الله تعالى، حتى تتجلى لهم الصورة الشاملة للإسلام في علومه وشريعته وأحكامه وخلقه وآدابه وسلوكه .

ثانياً : وسائل الإعلام أداة تربوية تعليمية :

تعدُّ وسائل الإعلام عملية تربوية وتعليمية؛ حيث لم تعد مسؤولية التربية والتعليم منوطة بالمدرسة والمنزل فقط بل تعدى ذلك إلى وسائل الإعلام .

والتربية والتعليم عن طريق وسائل الإعلام هو حجر الزاوية في تطور العلوم والمعارف، حيث تؤثر في أبناء المجتمع من خلال ما تزودهم به من ضروب المعرفة والثقافة .

فهو مؤثر إيجاباً وسلباً، ويتوقف ذلك على مضمون ومحتوى المادة الإعلامية التي تقرأ أو تسمع أو تشاهد .

وعن ارتباط الإعلام بالتربية والتعليم يقول د/ حمود البدر : "التربية : عملية توجيه الأفراد نحو النمو بشكل يتمشى والخط الذي ارتضته الأمة لنفسها .

والإعلام : أيضاً عملية توجيه الأفراد بتزويدهم بالمعلومات والأخبار والحقائق لمساعدتهم على تكوين رأي صائب في واقعة محدودة أو مشكلة معينة .

وهذا يعني أن بين التربية والإعلام وشائج قوية ، وأرضاً مشتركة؛ إن التربية في جوهرها عملية اتصال ، وإن الإعلام بجوهره ومظهره عملية اتصال"(١) .

---

(١) د/ حمود عبد العزيز البدر ، الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي تربوي بين دول الخليج العربي، الرياض ــ مكتب التربية العربية لدول الخليج ١٤٠٩ هـ .

أضف إلي ذلك أنهما يشتركان في كونهما أداة للتغيير، إما عن طريق زرع قيم جديدة لدى المجتمع ، وإما للإقلاع عن عادة قديمة .

فارتباط الإعلام بالتربية يقتضي :

١- تغييراً في السلوك .

٢- مساعدة الفرد على التكيف مع واقع الحياة .

ويدل على تكاملهما وتواصلهما بعضهما ببعض نتيجة سعيهما لتحقيق النهوض بأبناء المجتمع وجعلهم أكثر إيجابية في ظل التحديات التي يواجهها الإنسان في هذا العصر. وهذا يدعونا إلى التساؤل عن :

ثالثاً : كيفية الاستفادة من الإعلام في توجيه الشباب ؟

إن إفادة الأمة من الوسائل الإعلامية الإسلامية القائمة على القرآن والسنة تتمثل في :

١- تثبيت الإيمان وتأصيل الانتماء :

وهذا له بالغ الأهمية في التوجيه السليم، بينما في غياب الوسائل الإعلامية الإسلامية يحدث الخلل في الجانب الإيماني والعقدي في نفوس الشباب، وقد تقودهم الوسائل الإعلامية غير الإسلامية إلى الانحراف والتيارات الإلحادية ومن ثم تمزق الروابط الإيمانية في داخلهم.

لذا .. فإن الإعلام الإسلامي يستطيع أن يسهم في تثبيت أركان العقيدة الإسلامية إضافة إلى تأصيل الانتماء للأمة الإسلامية من خلال وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية .

٢- إبراز المثل العليا والقدوة الصالحة :

وذلك من خلال ما تقدمه الوسائل الإعلامية الإسلامية من نماذج حية من سير الصحابة والخلفاء الراشدين التي تعلي من همم الشباب وتسهم في بناء ذواتهم.

٣- تحقيق الاستقرار النفسي والعاطفي :

نظراً لما يغلب على الشباب من التوتر والانفعال والاضطراب النفسي والعاطفي في هذه المرحلة.. فإن الإعلام الإسلامي يقوم برسالة تربوية بالغة الأهمية ولا سيما في مرحلة الشباب، تتمثل في ضبط الانفعالات وتوجيه الجانب العاطفي للشباب وصولاً إلى تحقيق الاستقرار النفسي والعاطفي من خلال البرامج الإسلامية التي تعوض الشباب عن ذلك .

٤-التثقيف العام وتنمية المواهب :

تستطيع وسائل الإعلام الإسلامية المشاركة الفعالة في تنمية قدرات الشباب ومواهبهم إضافة إلى تثقيفهم بصورة شاملة ، والإسهام بإيجابية في العملية التعليمية، ومن ثم يجب أن توجه المواد الإعلامية الهادفة التي تتناسب مع طبيعة المرحلة التي يعيشها أبناء المجتمع حتى تكون خير مرشد وموجه للأبناء توجههم نحو تحقيق الأهداف المنشودة.

وذكر أ. ماجي الحلواني وظائف الإعلام الإسلامي، وأنها تتمثل في:

١- التعريف الصحيح بالدين الإسلامي الحنيف وأركانه .

٢- نشر الإسلام وتعميقه في النفوس.

٣- تعميق الثقافة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، والتشجيع على حفظ القرآن الكريم .

٤- التعريف بالشخصيات الإسلامية والأحداث والوقائع ذات الدور الفعال في التاريخ الإسلامي .

٥- إلقاء الضوء على أخبار المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة .

٦- تقديم الحلول الناجحة للمشكلات التي تواجه أبناء الأمة الإسلامية.

٧- تقديم المآثر الإسلامية من خلال شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح .

٨- الرد على الأكاذيب والافتراءات التي تسيء إلى الإسلام .

٩- إبراز الصفة العالمية للدين الإسلامي الحنيف .

١٠- إبراز صفة التسامح في الإسلام، ومعنى وحقيقة الجهاد في سبيل الله تعالى.

١١- مقاومة الدعاوى الإلحادية التي تستهدف تدمير العقيدة الإسلامية والقيم الفاضلة [1].

---

(١) انظر أ. ماجي الحلواني ، الإعلام الإسلامي التحديات والمواجهة ط ١ جدة مكتبة مصباح ١٤١١هـ ، ص ٢٢-٢٤ .

رابعاً: وسائل الإعلام المرتبطة بتعليم القرآن الكريم وعلومه:

إن الوسائل الإعلامية المرتبط بها تعليم القرآن الكريم وعلومه تتمثل في خمسة أماكن:

١–المسجد ٢– المدرسة ٣– الإذاعة

٤– التلفزيون ٥– الإنترنت

وتستطيع إدخال الأولين (المسجد والمدرسة) تحت صفة مشتركة بينهما ألا وهي (المباشرة والرؤية واللقاء) بين المعلم والمتعلم.

بخلاف الثلاثة الأخرى (الإذاعة والتلفاز والإنترنت) فإنها تفقد (المباشرة والرؤية واللقاء) وإن كان حاصلاً من طرف واحد وهو المتعلم.

أولاً: المسجد

يُعد تعليم القرآن الكريم وعلومه في المساجد وسيلة كبرى من وسائل الإعلام، فالمسجد مكان رئيس لنشر الثقافة الإسلامية.

فهو دار للعبادة ،ومعهد للتعليم ، ودار للقضاء ،وساحة لتجمع الجيوش، وأصدق ما قيل فيه إنه جامع وجامعة، احتوت كل نشاطات الحياة المسلمة بكل أبعادها وحاجاتها وتغيراتها وتطوراتها.

ويعد المسجد مؤسسة تعليمية ومدرسة للعلم والتعليم والثقافة والأدب والتربية إلى جانب وظيفته الأولى وكونه مكاناً وموضعاً طاهراً يتقرب فيه إلى الله سبحانه وتعالى، عن طريق أداء الصلوات الخمس

المفروضة على المسلم في اليوم والليلة [1] .

وهو المنارة التي يتم فيها تربية المسلم وتنشئته، ويتم من خلاله غرس القيم الإيمانية والعقيدة الصحيحة وجوانب الحياة الإسلامية الاجتماعية والسلوكية السليمة في نفوس المسلمين .

فعندما يرى الناشئة الراشدين مجتمعين في المسجد على كتاب الله تعالى يتدارسونه ويقرؤونه ينمو لديهم الشعور بالانتماء إلى المجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة المسلمة ،إضافة إلى أنهم ينمو لديهم الوعي العقدي ومعرفة الهدف الذي خلقهم الله تعالى من أجله .

وفي المسجد يتعلم الناشئة قراءة القرآن الكريم وترتيله والأحاديث النبوية المطهرة إضافة إلى العلوم اللغوية والفقهية والتاريخ الإسلامي وغيرها من العلوم النافعة. فالمسجد بهذا الدور التربوي ينمي الناحية الروحية لدى الناشئة من حيث ارتباطهم بخالقهم سبحانه وتعالى ، وكذلك تعليمهم أمور الحياة الصادرة عن أهداف التربية الإسلامية التي تجعل الناشئة يسلكون السلوك الإسلامي تلقائياً دون مشقة أو عناء [2] .

---

(١) محمد الفزار وصالح الشهري ، المبادئ العامة للتربية ط١ خميس مشيط دار جرش للنشر ١٤١٠هـ .

(٢) محمد أحمد عبد الهادي ، المربي والتربية الإسلامية ط١ جدة دار البيان العربي ١٤٠٤ هـ ، ص ٤ .

ثانياً : المدرسة

إن وظيفة المدرسة متعددة الجوانب، منها الدينية والتربوية والثقافية والاجتماعية، إلا أن الجانب الديني يعد أهم الجوانب، لأن الجوانب الأخرى منبثقة عن الدين الإسلامي الذي يرتكز على ما تقوم به المدرسة من إيجابية وفاعلية، وعن تحديد مدلول المدرسة يقول الدكتور/ محمد الفزار : "هي إحدى وسائط أو مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، وهي مؤسسة اجتماعية تربوية متميزة، أنشأها المجتمع بهدف تربية وتنشئة الصغار وتعليمهم وتهيئتهم أو إعدادهم للمواطنة الصالحة لمجتمعهم"(١).

ويمكننا إبراز وظائفها فيما يلي :

١- **عامل للتماسك الاجتماعي** : فالمدرسة تعمل على تكوين الاتجاهات والقيم.

٢- **التعرف على الموهوبين** : تكشف الأنشطة التعليمية عن طاقات التلاميذ الموهوبين، ومن ثم تجري تنمية ذلك حتى يعود بالنفع والصلاح على الفرد والمجتمع .

٣- **مسايرة التجديد والتغيير والتطوير** : يقع على المدرسة وظيفة هامة هي أن تساير التطور السريع في مختلف المجالات العلمية والثقافية والتقنية تمشياً مع طبيعة هذا العصر، شريطة أن يتفق ذلك مع تعاليم الإسلام .

---

(١) د/ محمد الفزار ، د/ صالح الشهري ، المبادئ العامة للتربية ط ١، خميس مشيط، دار جرش للنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ ، ص ٥٣ .

٤- **وسيلة اتصال عالمي** : يتمثل ذلك بالإعداد الثقافي للمعلمين، فلا بد من الاطلاع على ما وصلت إليه الأمم الأخرى والإفادة من تجارب الآخرين [١] .

والمدرسة بصفة عامة في المجتمع المسلم تجمع بين علوم الدين التي هي فرض عليها وبين علوم الدنيا التي هي فرض كفاية تعبيراً عن شمول الرسالة الإسلامية وتوازنها.

ثالثا : الإذاعة

هي وسيلة التبليغ الصوتية التي تعمل عن طريق الأثير.

والإذاعة : بدأت مع اكتشاف الموجات القصيرة، ويرجع اكتشاف هذه الموجات إلى عوامل عدة منها :اهتمام الدول بإيجاد طرق جديدة للاتصال بالعالم الخارجي في حالة تخريب كبلات وأسلاك خدماتها التلغرافية في حالة قيام الحرب .ولكن الفضل الرئيس لاكتشاف هذه الموجات يرجع إلى هواة الراديو، الذين كانت حكوماتهم قد منعتهم من استخدام الموجات الطويلة والمتوسطة في هوايتهم نظراً لاكتظاظها بالخدمات الإذاعية، فخصصت لهم موجات غير معمول بها في ذلك الحين وهي الموجات القصيرة. وقد اكتشف الهواة في بحثهم عن وسيلة ومخرج يشبعون بها هوايتهم طريقة لاستخدام الموجات القصيرة.

وتم أول اتصال بين هواة أمريكا وهواة فرنسا عبر المحيط الأطلنطي في عام ١٩٢٣م على موجة طولها مائة متر.

---

(١) السابق بتصرف واختصار ص ٥٤، ٥٧ .

وانتشرت الإذاعة الدولية على أثر نجاح الهواة في استخدام الموجات القصيرة [1].

وعملت الإذاعة خلال القرن الماضي والحالي على بث الوعي لدى جميع المسلمين في أرجاء العالم، لتعريفهم بأن الأمة الإسلامية صاحبة رسالة إصلاحية شاملة تخاطب الناس في كل زمان ومكان ومن ثم تخضع في تنشئة أفرادها لأهداف رسالتها السامية. ومن ثم طوعت الإذاعة لخدمة القرآن الكريم وتفسيره وترتيله وتجويده حتى أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ولا سيما في المجتمعات المسلمة التي تأمل في مستقبل مشرق ومزدهر بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وتوحيده والعمل على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه عن طريق نقل المعلومة الصحيحة، وتحريك مشاعر الفرد والمجتمع بما يجب عليهم تجاه كتاب ربهم، وغرس ذلك في نفوس الناشئة منذ الصغر عن طريق تربيتهم الإعلامية التربية الإسلامية الصحيحة، ومن ثم أصبح تقربهم من القرآن سلوكاً طبيعياً مألوفاً يسلكه أفراد المجتمع بكل يسر وسهولة .

رابعاً : التلفاز

إن البث التلفزيوني المباشر يعني :أن يستطيع المواطن العادي التقاط إرسال القمر الصناعي مباشرة من خلال محطة أرضية صغيرة في

---

(١) الإذاعة الدولية، دراسة مقارنة لنظمها وفلسفتها، د/سهير عبد الغني بركات، ١٩٧٨م بدون ط، ص ٢١ .

منزله، وبالتالي وجود المحطات الأرضية أو القطاع الأرضي من القمر الصناعي [1].

فالبث التلفزيوني المباشر لا يتم إلا من خلال قمر صناعي يستقبل البث من أي مركز على الأرض بواسطة هوائيات ذات قدرة عالية ، وتحويل هذا البث إلى الأرض لتستقبله تلك الصحون المستديرة أوما يسمى باللغة الإنجليزية بـ (Dich) وهي ذات قدرة تقنية خاصة قادرة على استقبال الترددات العالية جداً من القمر الصناعي مباشرةً ثم تحويل هذه الترددات إلى ترددات مناسبة للتلفزيون العادي، لذا يعد البث التلفزيوني المباشر قضية اليوم والغد وذلك لاستقبال إرساله من الأقمار الصناعية مباشرةً، دون المرور على محطة أرضية، ومن ثم لا يمكن التحكم فيما يبثه للمشاهدين ، سواء كان البث قادماً من المشرق أو المغرب فلماذا لا نوجِّه جهودنا إلى قناة :

١- تعرض ما يدعو للإيمان، يكون لها جوانب إيجابية خاصة لخدمة البلدان الإسلامية المترامية الأطراف للتعرف على قضاياهم ، وما يعانونه من مشكلات، والإجابة عنها من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٢- يكون لها قصب السبق في الرد على الجوانب السلبية في القنوات الأخرى وبخاصة التي تهدف إلى إظهار الإسلام بصور سيئة في نفوس الغرب .

---

(١) أ/ ماجي حسن الحلواني، تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي، القاهرة دار الفكر العربي ١٩٨٨ م ص ٨٠.

خامساً : الإنترنت

شبكة اتصالات عالمية إعلامية ، يتمكن المطلع عليها في مختلف أرجاء العالم من قراءتها والتعرف على محتوياتها والإفادة منها في جميع المجالات الحياتية .

طريقة النشر فيه :

يتم نشر الصفحات التي نريدها من خدمة لكتاب الله العزيز على شبكة الإنترنت بنقلها إلى ملقم (خادم) شبكة الإنترنت .

وهذا الملقم (الخادم) هو جهاز كمبيوتر متصل مع شبكة الإنترنت ويُمكّن الأفراد من الاطلاع على صفحاتك على شبكة الإنترنت والإفادة منها .

وقد يعطيك مقدم الخدمة الذي يربطك مع شبكة الإنترنت مساحة تمكنك من حفظ صفحاتك على الشبكة مجاناً ونستطيع استئجار مساحة يمكن الاتفاق عليها مع مقدم مثل هذه الخدمة .

– والأمر الذي يجب التنبيه عليه هو وجوب التأكد من صيانة البيانات المعروضة باستمرار .

وقد يكون هناك استفسارات أو ملاحظات من القراء . . فيجب أن يكون هناك متابعة لتلك الأمور بالتغذية الإرجاعية بالتوجيهات والإجابات حتى تكون صفحاتنا مفيدة وصالحة للنشر .

إعلام المطلعين على الشبكة عن صفحتنا :

يمكـن اسـتـخـدام أمـر (Sub Mit it) أي (تقـديم العـمـل) وهـي صفحـة مـن صفحـات مواقع شبكة الإنترنت، للإعلام عن صفحتك على شـبـكة الإنـتـرنت . وسـيـرسل هـذا البـرنامـج مـعلومـات عـن صـفـحـتـك التي تزمع إنشـاءها إلى كـثـيـر من معـدي برامج البـحث عن المعلومات .

وهي البـرامج التي تسـاعـد القـراء في الحـصـول على المعلومـات والبـيـانات التي يبـحـثـون عنهـا، ويمكنك الاتـصـال بـهـذا البـرنامج من خلال الصفحة التالية : (http/www.sup mit-it.com/index.html) .

وإنـه آن الأوان للـدعـاة والعـاملين في مـجـال الدعـوة الإسـلامـيـة للتـشـمـيـر عـن سـاعـد الجـد ، وتقـديم مسـاهمـة فعـالـة فـي مجـال الدعـوة إلـى هـذا الـديـن الحـق وإعـلام النـاس بعـالميتـه من خـلال شبكـة الإنترنت . مع العلم بأن هنـاك إحصائيات تشير إلى أن هنـاك (٢٢٥٠٠) مـوقـعٍ وصـفـحـة أو أكـثـر لخـدمـة النصـرانيـة . وأن هنـاك أكـثـر من (٥٨٠٠) مـوقعٍ وصـفـحـة لخـدمـة اليـهـودية، بينمـا لا نتـعدى الواقع إذا قلنا : إن الصـفـحـات التي تتـحدث عن دين الإسـلام الحق -الصـالح والمصلح لكل زمان ومكان- (٥٠٠) موقع .

واللافـت للنظـر أن أعـداء الإسـلام ينشطـون فـي تبليـغ (الإنجيـل)

و(التوراة) باستخدام قوائم البريد الإلكتروني، بحيث يقدمون للمشتركين (آية واحدة) كل يوم –أو يتعهدون بتقديم الإنجيل كاملا خلال عام واحد للقراء من خلال الإنترنت– بينما لا تجد من يستغل تلك المعطيات والتقنيات الحديثة لإبلاغ كلام الله الخالد (القرآن الكريم) و(الحديث الشريف) باستخدام هذه الوسيلة التي يستخدمها أكثر من (٦٠٠) مليون شخص في عالمنا المعاصر [١].

---

(١) مجلة سعودي شوبر، العدد الخامس السنة الثانية يناير ٢٠٠٠م، مقال بعنوان (إنترنت ــ خطوة خطوة) ص ٣٣.

المبحث الثاني

أولاً : الأسس العامة لتقويم أسلوب التعليم من القرآن الكريم :

لكل مشروع أو إنجاز يراد تحقيقه وسائل تناسبه وتحقق أهدافه . وإن المعلم مهما بلغت فصاحته وبلاغته لن يجد أسلوباً أرقى من أسلوب القرآن الكريم؛ حيث الأسلوب المؤثر البليغ الذي ربى النفوس وشحذ الهمم على مر القرون والدهور. وهاك الأسس التي اعتمد عليها القرآن الكريم في توجيه الأجيال لتحقيق هدف الأمة الأسمى لتكون خير أمة أخرجت للناس .

١- أسلوب الحوار :

وهو أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب والمداخلة الواعية مع اشتراط وحدة الموضوع وقد اعتمد عليه القرآن كثيراً ومثله :

أ- حوار الله لملائكته المكرمين ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠) .

ب- حوار بين الله وأنبيائه عليهم السلام ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : ١٠٩) .

جـ- حوار بين الرسل وأقوامهم ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٩ - ٦٤).

د- حوار بين أهل النار : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ (غافر : ٤٧ ، ٤٨).

فيأخذ السامع من ذلك العبرة ، ويكوِّن لنفسه موقفاً مؤثراً، فيتتبع الموضوع بشغف واهتمام وذلك لأسباب كثيرة أهمها :

أ) عرض الموضوع عرضاً حيوياً : إذ يتناوله الخصمان بالأخذ والرد مما لا يدع مجالاً للملل بل يدفع المشاهد إلى الاهتمام والتتبع لما يتوقعه من جديد لم يكن عنده به علم فيتمكن في نفسه أيما تمكن ، ولاسيما إذا كان حواراً بين خصمين فيتطلع إلى معرفة انتصار أحد الخصمين.

ب) إغراء القارئ أو السامع بالمتابعة لمعرفة النتيجة.

جـ) إيقاظ العواطف والانفعالات مما يساعد على تربيتها وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، وتأصيل الفكرة في النفس وعمقها.

د) عرض الموضوع الذي تتبناه الفئة المؤمنة تدافع عنه وتقص علينا أثره في سلوكها وحياتها .

الحوار أنواع منها :

الأول : الحوار التعبدي :

بأن يوجه القرآن سؤالاً فيجيب العبد المؤمن .

روى أبو داود والبيهقي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة : ٤٠) قال : « سبحانك، فبلى »[١] .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على تلبية هذه الأسئلة .

روى الحاكم عن جابر قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : « مالي أراكم سكوتاً ؟ الجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه الآية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ١٣) إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد »[٢] .

إن القرآن يربي نفوس المتعلمين بهذا الحوار التعبدي على عدة أمور :

---

(١) رواه أبو داود ك الصلاة، باب الدعاء في الصلاة رقم ٧٥٠ وأحمد ٧٠٨٦ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥١٥ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١- التجاوب مع أسئلة القرآن واستحضار القارئ والمستمع لها بقلبه، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ذلك تعليماً عملياً.

فعن حذيفة بن اليمان: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى يصلي بها ... إلى أن قال: ثم افتتح بآل عمران يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ»[1].

٢- استجابة السلوك، وذلك نتيجة طبيعية للقناعة الفكرية الناشئة عن أسلوب الحوار؛ فالذي يستجيب لسؤال ربه ووعده ووعيده حري بأن يستجيب بسلوكه.

٣- إشعار المتعلم والقارئ للقرآن الكريم بمكانته عند الله حتى خاطبهم به، فلما نزل قوله ﴿ ... فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩١) في آيات تحريم الخمر قالوا: انتهينا يا رب.

الثاني: حوار الخطاب التذكيري:

بتذكير المتعلم بما يجب عليه: أقتبس من القرآن الكريم تذكيره لبني إسرائيل بالنعم ﴿ ... يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٠)، وتذكيره لأمة محمد ﷺ بها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: ١١). وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ (الشرح: ١، ٢).

---

(١) رواه النسائي في المجتبى ج ٣ ص ٢٢٥ والبيهقي ج ١ ص ٤٣٣.

وهذا الحوار له أثر نفسي عميق، فهو يوقظ في النفس عاطفة العرفان بالجميل المترتب عليه عاطفة الخضوع والانقياد لأوامر الله عز وجل على أن تكون دافعة له إلى التطبيق .

الثالث : حوار الخطاب التنبيهي :

فقد يرد التساؤل ويعقبه الجواب للفت الأنظار إلى أمر هام ثم يُشرح هذا الأمر تاركاً أعظم العبر كقوله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ (القارعة: ١-٤)، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في قوله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: كلا بل المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات مثل الجبال ويأتي وقد شتم هذا .. وقذف هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ...» الحديث[1]. وإذا كانت المدرسة الحديثة تستخدم طريق الاستجواب لتثبت المعلومة، فإن الإسلام قد وضع هذا الأسلوب منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، وشتان ما بينهما؛ فالمدرسة الحديثة الاستجواب فيها مقصور على أمور علمية جافة بظن أو يقين، لكن الحوار القرآني والنبوي يجدد أفكار السامعين بأمور يقينية جديدة موجهاً لهم إلى الأخذ بخيرها وترك شرها .

(١) رواه مسلم ٤/ ١٩٩٧ والترمذي ٤/ ٦١٣ أحمد ٢/ ٣٠٣ وابن حبان ١٠/ ٢٥٩.

الرابع : حوار الخطاب العاطفي :

وهو خطاب أو استفهام يعتمد على استثارة العواطف الإنسانية والانفعالات الوجدانية حتى تترك أثراً في تغيير ما كان عليه المخاطب إلى السلوك الصالح والعمل الطيب مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢، ٣).

ومثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة : ٣٨، ٣٩).

وهذا الأسلوب يؤدي إلى الاستعداد الوجداني كلما تكررت المناسبة أو الموضوع الذي أثار الانفعال، كاستعداد المؤمن للحماسة من أجل العقيدة الخالصة، ولتحقيق أوامر الله عز وجل ، والغضب لله، والدعوة إلى دينه. والعاطفة الفعالة تؤدي بصاحبها إلى سلوك يرضيها ويحقق غايتها .

الخامس : حوار الخطاب التعريضي :

وهو خطاب يتضمن تعريضاً بأصحاب السلوك غير المرضي -بوصف حالتهم وضعفهم وتهديدهم بالعذاب- وفي هذا تسلية لأصحاب

السلوك الصالح وتقوية لعزائمهم والأخذ بيد الآخرين إلى الهدى من الضلالة .

كقوله تعالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٤٤).

ومثل قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (مريم : ٧٧-٨٠) .

وفي هذا الأسلوب إيذان للمؤمن أن يحتقر صفات المشركين وأعمالهم وإيقاظ انفعال الاشمئزاز من باطلهم وكفرهم حتى تصبح هذه الانفعالات عاطفة متأصلة في نفس المتعلم عن طريق التكرار.

وهذه طريقة تلقين غير مباشر تكون أشد تأثيراً في بعض الأحيان من التلقين المباشر.

٢- أسلوب القصص القرآني :

للقصة القرآنية وظيفتها التعليمية التي لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي؛ ذلك أنها تمتاز بميزات جعلت لها آثاراً نفسية وتربوية بليغة ومحكمة وثابتة على مر الأزمان، مع ما تثيره من حرارة العاطفة التي تدفع إلى تغيير السلوك وتجديد العزيمة .

وللقصة القرآنية أغراض ينبغي للمعلم أن يحققها في نفس مستمعيه وتربية عقولهم وعواطفهم:

الغرض الأول: إثبات الوحي والرسالة، ففي أول سورة يوسف قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢).

وفي قصة نوح ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ... ﴾ (هود: ٤٩).

فمحمد صلى الله عليه وسلم هذا النبي الأمي الذي لا يقرأ ولم يجلس إلى معلم بشري قط ، يتلو على قومه في هذا القصص أعذب الكلام وأبلغه في أسلوبه ونظمه وفي غاياته ومقصده، فهو في موضوعه نسيج من الصدق الخالص، وعصارة الحقيقة المصفاة ، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال؛ لأنه بناء شامخ من لبنات الواقع، وهو نقل حي لها، حتى لكأنها تتجسد في الزمان والمكان اللذين حملاها لحظة حدوثها، فتظهرها دائماً وكأنها في ساعة مولدها، لا يختلف يومها عن أمسها ولا يفقد من يشهدها اليوم أو غداً شيئاً مما شهده عليها المشاهدون ساعة مولدها .. وهذا الإعجاز الذي نشهد بعض أسراره في كلمات القرآن الكريم، هو الأمر الذي لا يشبهه شيء من أعمال الناس وآثارهم.

ولا يشك عاقل في أن وظيفة محمد صلى الله عليه وسلم إن هي إلا التبليغ ﴿ ... إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ... ﴾ (الشورى: ٤٨).

الغرض الثاني : تثبيت حملة الرسالة وتسليتهم عما يلاقونه من المصائب ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠) .

فعلى المعلم استحضار مكان الموعظة والذكرى من كل قصة ليحاور متعلميه حواراً يوجههم إلى المعرفة ، والتأثر بها ، والعمل بمقتضاها .

الغرض الثالث : الاعتبار بالحوادث التاريخية، وما أعظم هذه الحوادث التي توجه المتعلم إلى معرفة المغزى :

(أ) كمعرفة سنة الله في إهلاك المفسدين بسبب فسادهم وظلمهم وإبقاء الصالحين، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود : ١٠٢) .

(ب) ومعرفة سنة الله في نصر عباده المؤمنين العاملين بشرعه ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر : ٥١) .

(ج) معرفة سنة الله في إلحاق الهزيمة بالكافرين إذا تمسك المؤمنون بشرعه ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح : ٢٢ ، ٢٣) .

(د) إذا تمادى مرضى القلوب (المنافقون) في إفساد المؤمنين وإنشاء الفتن والإشاعات الكاذبة فإن سنة الله فيهم الهلاك ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٦٠ ، ٦١) .

(هـ) البحث عن أثر إصلاح النفس البشرية وتربيتها في مجرى الحوادث التاريخية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ . . . ﴾ (الأنفال : ٥٣) . وأن الغاية من القوة والغلبة والتمكين في الأرض إقامة شرع الله وتحقيق الصلاح ومحو الفساد ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١) .

٣- أسلوب ضرب الأمثال :

ضرب المثل عبارة عن إيقاعه وبيانه لإيضاح حال من الأحوال بذكر ما يناسبه ويشابهه ويظهر من حسنه أو قبحه ما كان خفياً . واختير له لفظ (الضرب) لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه . وإذا كان الغرض التأثير فالبلاغة تقضي بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الأشياء التي جرى العرف بتحقيرها واعتادت النفوس النفور منها [١] .

فيشبه ما يراد تحقيره بالأشياء التي عرفت حقارتها، كتشبيه معبودات المشركين وأوليائهم ببيت العنكبوت ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤١) .

---

(١) تفسير القرآن الحكيم / ١٦٧ ط المنار.

ولكن بعض المنافقين والمشركين لم يروا في القرآن شيئاً يعاب فتمحّلوا بنحو قولهم: إنه لا يليق بالله ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ولذا رد الله عليهم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... ﴾ (البقرة: ٢٦).

وليست الأمثال مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن لها غايات تعليمية، فمن ذلك:

١- تقريب المعنى إلى الأفهام ﴿ ... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧).

فالباطل يضمحل كالزبد الذي يحمله السيل وإن علا في بعض الأوقات كما يعلو الزبد، والحق ثابت باق يمكث في القلب فينتفع به المؤمن فيثمر عملاً صالحاً كما يمكث الماء في الأرض المنبتة فيثمر عشباً وزرعاً وأعناباً ونخيلاً.

٢- إثارة الانفعالات عند ورود المعنى تاركاً أثره في أعماق النفوس بالكراهية لكل معاني الشرك والكفر، وإثارة الرضا بالإيمان والإسلام مع الركون إلى القوة التي لا تضعف والعز الذي لا يزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٧٣، ٧٤).

٣- تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ... ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

من هنا ينبغي للمعلِّم أن يستعين بأسلوب ضرب المثل، قال الماوردي: "من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات"[١].

فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص والأشياء؛ لأنها أَثْبَتُ في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالمشاهد. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله قال تعالى: ﴿ ...وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ (إبراهيم: ٤٥) .

(١) انظر السيوطي ، الإتقان ج ٢ ص ١٦٧ ط عيسى الحلبي.

ثانياً: تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم في وسائل الإعلام:

إن وسائل الإعلام (إذاعة - تلفاز - إنترنت) تختلف في تعليمها عن المسجد والمدرسة؛ لأن الأولى تفقد المواجهة واللقاء بين الطرفين، أما الثانية فيتوفر فيها ذلك، فيستطيع المعلم أن ينبه الغافل، ويذكر الناسي ويصوب المخطئ، ويستطيع المتعلم أن يسأل عما غاب، وهو في نفسه -أي المتعلم- يضع اعتباراً وهيبة لمن يتلقى عنه. وهذا الأمر من أشد الدواعي التي تجعله مهتماً بما يلقى عليه ولا يصرفه صارف ذهني أو قلبي عن معلمه.

ولعل تخصيص اللجنة الموقرة ثلاثة موضوعات عن:

١- تعليم القرآن في مراحل التعليم العام والجامعي.

٢- وتعليم القرآن في جمعيات تحفيظ القرآن.

٣- وتعليمه في مدارس تحفيظ القرآن.

هو اختيار موفق -إن شاء الله- سائلين إياه أن يؤتي ثماره اليانعة.

ومن أجل هذا سيقتصر حديثنا عن وسائل الإعلام (إذاعة وتلفاز وإنترنت) وهي تحتاج إلى ما يعوِّض المتعلم عن فقدان المواجهة واللقاء لذلك فلابد:

١- أن يكون لدى المعلم عن طريقها أسلوب تشويقي.

٢- أن يتوقع المعلم سؤال المستمع والمشاهد فيلقيه على طريقة السؤال والجواب.

٣- عرض ما يحتاج إلى توضيح عن طريق الرسم، مثل موضوع (مخارج الحروف) وهذا يتوفر في التلفاز والإنترنت .

٤- عقد اتصال هاتفي أو (فاكس) مباشرة لإزالة الشُّبه وحالات اللبس التي قد تشكل على المستمع أو المشاهد .

٥- ويجب على المعلم أن يكون صبوراً على معاناة التعليم ويقرب المعلومة إلى الذهن من أيسر طريق ، ويكون ذا أداء حسنٍ يُرغب ولا يرهب ولا سيما إذا بدأ برنامجه بمثل هذه الأحاديث .

الترغيب في حفظ القرآن ومذاكرته من السنة النبوية :

ونجد في السنة النبوية ما يرغب في حفظ القرآن .

١- روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده »[١] .

٢- وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم : « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[٢] .

---

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٤ .

(٢) رواه البخاري ج٤ ص ١٨٨٢ ومسلم ١ / ٥٤٩ والترمذي ٥ / ١٧١ .

٣- وروى الترمذي بسنده -وقال: حسن صحيح- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ،لا أقول آلمّ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[1].

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"[2].

٥-وقال صلى الله عليه وسلم: "يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح[3].

٦- وقال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[4].

أليس كل ذلك يحفز الهمم ويحرك العزائم إلى حفظ القرآن واستظهاره والمداومة على تلاوته مخافة الوقوع في وعيد نسيانه...

الطريقة العملية للحفظ:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة تعليماً عملياً فيردد الصحابي أمام الرسول بطريق الترديد والتسميع بقصد التصحيح.

(١) رواه الترمذي ج ٥ ص ١٧٥.

(٢) رواه البخاري ج٤ ص ١٩١٩ ومسلم ج١ ص ٥٥٨.

(٣) سنن الترمذي ٥/١٧٧ ومسند أحمد ٢/١٩٢.

(٤) رواه البخاري ٤/١٩١٩.

وفي ذلك ورد حديث الدعاء قبل النوم عن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: "اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت" .

فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت .

قال : "قل آمنت بنبيك الذي أرسلت"[1] .

وأما تعليم القرآن فقد أشار إليه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله في حديث تعلم الاستخارة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول لهم: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: «اللهم إني أستخيرك بعلمك . . . » إلخ[2] .

والشاهد قول جابر: "كما يعلمنا السورة من القرآن" فدل على أن تعليم القرآن الكريم كان أمراً واقعاً بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلقياً وتلقيناً. ولقد كانت همة النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول القرآن هي حفظه واستظهاره ، ثم يقرؤه على الناس على مكث ليحفظوه

---

(١) رواه البخاري ٥ / ٢٣٢٦ ومسلم ٤ / ٢٠٨١ .

(٢) رواه البخاري ٥ / ٢٣٤٥ .

ويستظهروه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢).

ومن شأن الأمي أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره، ويعينه استحضاره وجمعه خصوصاً إذا أوتي من قوة الحفظ والاستظهار ما ييسر له هذا الجمع والاستحضار. ثم جاء القرآن فبهرهم بقوة بيانه ، وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه، فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة.

وقد اعتنى الصحابة الكرام بكتابة القرآن التي هي وسيلة للحفظ وعدم الاختلاف، فكتبوه ونقشوه بمقدار ما سمحت لهم وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم .

فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحي ، إذا نزل شيء أمرهم بكتابته زيادة في التوثق والضبط حتى تظاهر الكتابة الحفظ ، ويعاضد النقش اللفظ .

ومن هذا المنطلق فعلى المعلم أن يرشد متعلميه عبر وسائل الإعلام إلى أهمية الكتابة عند الحفظ؛ فذلك أدعى لثبات المحفوظ وترسيخه في الذاكرة، وقد قال المعلم :

العلم صيد والكتابة قيده   قيد صيودك بالحبال الواثقه

ويذكر لنا السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن[1]» في النوع الرابع والثلاثين في (كيفية تحمله) أي القرآن قال : "اعلم أن حفظ القرآن فرض عين على الأمة والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، وتعليمه أيضاً فرض كفاية وهو أفضل القرب .

وأوجه التحمل (في طرق تعلم ونقل الحديث) عند أهل الحديث : "السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره ، والمناولة، والإجازة والمكاتبة والوصية، والإعلام والوجادة" فأما غير الوجهين الأولين فلا يأتي هنا .

وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً . وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم" .

ثم قال : "وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه نزل بلغتهِم، ومما يدل للقراءة على الشيخ : عَرْضُ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في رمضان في كل عام. ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلائق لم يتسع وقته لقراءة الجميع ، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتف بقراءته .

---

(١) الإتقان ١ / ٢٧٩ – ٢٩١ .

وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويرد على كل منهم ، أي يصحح خطأهم إذا أخطؤوا" [1].

وهذه الطريقة التربوية للتعليم بالعمل والممارسة .. تجعل الفرد أكثر استقامة وسعادة فيسير على الإتقان العملي الذي هو خير مقياس للتعلم سواء في ذلك الاستحفاظ أو أداء العبادات .

لذا .. كان من أهم نتائج هذا الأسلوب :

١- تعوُّد الدقة وتوخي صحة النتائج ، فكل متعلم يمارس العمل أمام معلمه ، ثم يناظره المعلم ويصحح أخطاءه يغرس في نفس المتعلم عدم العود إلى الخطأ مع ثبات الصواب .

٢- شعور المتعلم بالمسؤولية عن صحة العمل .. وهذا يجعل منهجية التربية الإسلامية منهجية حركية فكرية عاطفية مبنية على الوعي والدقة وصحة الأداء، فالدقة في العواطف والاتجاهات والأفكار تتجلى في إخلاص النية وتوجيه العمل نحو إرضاء الله جل جلاله بلا رياء ولا استكبار ولا استهتار. تواكبها الدقة في حركية العمل أو لفظية القول، كما نقله لنا الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من بعدهم إلى يومنا هذا .

وعلى المعلم توجيه الآباء لحثِّهم أبناءهم على الاهتمام بذلك عن طريق التشجيع ورصد الجوائز وغير ذلك. ومتابعة ما حفظوه وما كتبوه من خلال حلقات القرآن في وسائل الإعلام. وهذا هو الرباط على المتابعة وجني الثمرة.

---

(١) السيوطي ، الإتقان ١ / ١٧١ .

ولقد اهتم المسلمون الأول بتعليم أولادهم القرآن :

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: "عَلِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن" [1]. وكذلك هشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبي لما اتخذه مؤدباً لابنه: "وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روِّه من الشعر أحسنه"[2]. وقد قال الرشيد للأحمر معلم ولده الأمين ولي عهده: "فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعَرِّفه الأخبار"[3].

إن تعليم القرآن من شعائر الدين ، أخذ به المسلمون ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم وجعلوه أصل كل تعليم عندهم .

والقرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى، بل فهم المعنى والأخذ به لا يكونان إلا عن طريق تلاوة الألفاظ أو إسماعها، ثم تدبرها وتذكرها.

وإذا كان مالك –فيما قيل– كره التعجيل بتعليم الطفل القرآن، فلعله لم يكره ذلك إلا خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغي له من إقامة الحروف وإخراجها من مخارجها[4] ، على أن الأخبار التعليمية –عند المسلمين– تفيد أن كثيرين حفظوا القرآن في سن مبكرة . ومن ذلك ما ذُكر من أن الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين[5]. وأن

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ٢ /١٦٧ .

(٢) الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٩ .

(٣) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ص ٦١٧ .

(٤) الكتاني ، التراتيب الإدارية ٢ /٢٩٣ .

(٥) الحسيني الملقب بالمصنف ، طبقات الشافعية ص ٣ .

جلال الدين السيوطي حفظ القرآن وله دون ثمان سنين[١].

وما جرت عليه عادات المسلمين من أخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، حتى ولو كان يقرأ ما لا يفهم، عزاه صاحب (أبجد العلوم) إلى (إيثار الثواب) وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن[٢].

وفي قول الله عن يحيى عليه السلام: ﴿ ... وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١٢). "أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير"[٣].

وروي عن بعض السلف قال: "من قرأ القرآن –قبل أن يبلغ– فهو ممن أوتي الحكم صبياً"[٤].

وفي حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة". يقول ابن حجر: "ولهذا الحديث شاهد في مسند الدارمي عن ثابت بن عجلان "إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف الله ذلك عنهم" يعني بالحكمة: القرآن"[٥].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١ / ١٤٠.

(٢) أبجد العلوم ص ٦٦.

(٣) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ٣ / ٢٨٤.

(٤) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ٣ / ٢٨٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٣.

ولذا فإن المادة الرئيسة لدى النشء هي حفظ القرآن مجوداً والذي كان يستطيع ختم القرآن في المدارس والكتاتيب بمنزلة (شتلات) صالحة تنتقل إلى أرض التعليم فيزكو نباتها .

ومما حفل به التاريخ الإسلامي أن نساءً ختمن القرآن مثل ميمونة بنت أبي جعفر القعقاع المدني أحد القراء العشرة المختارين روت القراءة عن أبيها وروى القرآن عنها آخرون[١] .

وكان في قصر زبيدة بنت أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين مائة جارية تقرأ القرآن فكان يُسمع من قصرها دويٌّ كدوي النحل من القراءة[٢] .

وذكر ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة أنه كان بالرَّبَض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وكان هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها[٣]؟ .

وعائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج الحافظ المزي المتوفاة ٧٤١هـ كانت تحفظ القرآن وتلقنه النساء، وكانت عديمة النظير لكثرة عبادتها وحسن تأديتها القرآن وتفضَّل في ذلك على كثير، وأقرأت عدة من النساء وختمن عليها وانتفعن بها[٤]. وعرض ابن الجزري السيرة

---

(١) ابن الجزري ، غاية النهاية ٢ / ٣٢١ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢١٤ .

(٣) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٧٢ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ترجمة رقم ٢٠٨٠ .

العلمية لابنته (سلمى) فذكر ضمناً أنها : "عرضت القرآن حفظاً بالقراءات العشر ، قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القراءات بحيث وصلت في الاستحضار إلى غاية لا يشاركها فيها أحد في وقتها"[1].

وطريق التلقين الشفهي هي الطريقة المثلى لتعليم القرآن، ولاسيما أن المعتمد عند المسلمين أن يكون تلقي العلم النقلي بعامة والقرآن بخاصة من الأفواه.

فابن مسعود -أحد كبار الصحابة وأعلام رواة القرآن وتجويده وتحقيقه وترتيله- يقول : "حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة"[2].

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبيّ : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : آلله سَمَّاني لك؟ قال : « الله سَمَّاك لي » فجعل أُبيّ يبكي[3].

قال صلى الله عليه وسلم : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود -فبدأ به- وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب »[4].

---

(١) غاية النهاية ١ / ٣١٠.

(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ١ /٤٥٨ .

(٣) مسلم ٤ / ١٩١٥.

(٤) رواه البخاري ٣ / ١٣٨٥ .

وتلك قاعدة متبعة لطالب القرآن أن يتلقاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين، وأن لا يعتد أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلم، لما قد يقع في ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام .

وهم يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي[١] .

ومن أشهر ما يروى في هذا : أن حمزة -أحد أئمة القراءات السبع- كان يقرأ القرآن وهو في سن تعلم الهجاء من المصحف فتلا "ذلك الكتاب لا زيت فيه" وأبوه يسمع بدلاً من "لا ريب فيه" فقال له أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال[٢] .

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) بفتح التاء فقال : سبحان الله . هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده؟ فقيل له : إنه لحن وإنما القراءة (لا تُنكحوا) فقال : قبحه الله إنه يحل ما حرم الله[٣] .

وذلك فيه من التنبيه ما فيه لطالبي القرآن على وجوب التزام التلقي الصوتي من قراء ضابطين محققين .

ومن أقوال العلماء : "من أعظم البلية تشييخ الصحيفة" أي أن يتعلم الناس في الصحف . وكان الشافعي يقول : "من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام"[٤] .

---

(١) العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

(٣) ابن الجوزي أخبار الحمقى ص ١٠٧ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة السامع ص ٨٧ .

فالنقل من أفواه المعلمين هو النقل السليم الذي يظهر كل زيف يعتريه .

ولذا لم يكن غريباً أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون مُوَقِّف أو معلم أمراً لا يجيزه المسلمون ولو كان المصحف مضبوطاً، بل إنهم يعدون هذا الاكتفاء منافياً للدين؛ لأنه ترك للواجب وارتكاب للمحرم[١] .

وهم يذهبون إلى هذا بناءً على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ويقول ابن حجر : "اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج أو مد أو إدغام أو إخفاء أو إظهار وغيرها وجب تعلمه وحرم مخالفته" .

ويقول السيوطي : "ولا شك أن الأمة -كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده- هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية"[٢] .

وقوله : "على الصفة المتلقاة" يدلُّ على أنه لا يكفي الأخذ من المصحف بدون تلقٍ من أفواه المشايخ المتقنين .

وابن الجزري في تعريفه للمقرئ يقول : "إنه العالم بالقراءات رواها مشافهة فلو حفظ "التيسير" مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه مسلسلاً؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة"[٣] .

---

(١) علي الضباع، بحث في التجويد بمجلة كنوز الفرقان عدد مايو ١٩٥٠م ص ١٣ .

(٢) الإتقان ١ / ١٠٠ نقلاً عن النشر لابن الجزري ١ / ٢١٠ .

(٣) منجد المقرئين ص ٣ .

ثالثاً : تقويم أساليب تعليم علوم القرآن في وسائل الإعلام :

مما لا مرية فيه أن المتعلمين تتفاوت درجاتهم ،وأن المتعلم في رحاب جامعة أكاديمية يختلف عن المتعلم في رحاب وسيلة من وسائل الإعلام ،فالأول لا يخشى عليه عند عرض المادة العلمية –من اختلاف المختلفين– إذ إنه يعلم عند التعارض والاختلاف كيف يكون الجمع أو الترجيح ؟.

أما الثاني فإذا رأى اختلاف العلماء ربما أثر ذلك تأثيراً سلبياً في فكره أو عقيدته، ولذلك يقول عبد الله بن مسعود : "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[1] .

ومن هذا المنطلق فإن أول ما يتقرر عرضه في وسائل الإعلام عن علوم القرآن هو المتفق عليه لا المختلف فيه ، ولا يُعرض المختلف فيه إلا مصحوباً ببيان الوجه الجمالي في الاختلاف وأن الأمر يؤول إلى السعة في القولين إذا كان لكل منهما وجهة نظر سليمة شرعاً وعقلاً . ولا سيما أن عندنا –نحن المسلمين– ثروة من المراجع العلمية في هذا الشأن نستطيع من خلالها أن نأخذ المتفق عليه ليعرض بصورة علمية محببة لقلوب المتعلمين عبر وسائل الإعلام . وإذا كان مختلفاً فيها يُعرض القول الراجح بأدلته وكفى مع التنبيه على ذلك .

---

(١) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ص ١٠ وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٣٤ .

١- فهذا كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي يقول في خطبته : (لما كانت علوم القرآن لا تحصى ، ومعانيه لا تستقصى وجبت العناية به بالقدر الممكن ، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه .... فاستخرت الله تعالى -وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة ما بهر القلوب عجباً، ليكون مفتاحاً لأبوابه عنواناً على كتابه ، معيناً للمفسر على حقائقه ، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه، وسميته: (البرهان في علوم القرآن)[1] اهـ. ويحوي سبعة وأربعين نوعاً من علوم القرآن .

٢- وعليه بنى الإمام السيوطي كتابه (الإتقان في علوم القرآن) إذ يقول في مقدمته : « ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سروراً، وحمدت الله كثيراً ، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته ... إلخ .

وزاد فيه السيوطي أنواعاً أخرى حتى أوصل كتابه إلى ثمانين نوعاً .

والذي يعنينا في هذا المقام هو تحديث الأسلوب في دراسة علوم القرآن، فنجد أمامنا كتاب : (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، فقد جَلَّى هذا العلم وأظهره وجدد أسلوبه، وهو جيد في الاعتماد عليه مرجعاً لإعداد البحوث الخاصة

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن (المقدمة) ط . التراث العربي بمصر.

بالبرامج الإعلامية، وإن كان في بعض الأحيان عالي الأسلوب، إلا أن هذه مهمة العلماء المتخصصين في علوم القرآن أن يبسطوا أسلوبه ويجعلوه في متناول السامعين والمشاهدين والمتابعين على الإنترنت.

ونأخذ منه نموذجاً عن (فوائد معرفة أسباب النزول) .

فوائد معرفة أسباب النزول :

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول ، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جاريةً مجرى التاريخ ، وقد أخطأ فيما زعم ؛ فإن لأسباب النزول فوائد متعددة ، لا فائدة واحدة، منها :

(الفائدةالأولى) : معرفة حكمة الله تعالى على التعيين ، فيما شرعه بالتنزيل ، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه ، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التنزيل . وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً ، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصاً إذا لاحظ سيرَ ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد وحسبك شاهداً على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه.

(الفائدة الثانية) : الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، حتى لقد قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها، وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. ا هـ .

ولنبين لك ذلك بأمثلة ثلاثة: **(الأول)** قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١١٥)

فهذا اللفظ الكريم يدل بظاهره على أن للإنسان أن يصلي إلى أية جهة شاء، ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر البيت الحرام، لا في سفر ولا حضر. لكن إذا علم أن هذه الآية نازلة في نافلة السفر خاصة، أو فيمن صلى باجتهاده ثم بان له خطؤه، تبين له أن الظاهر غير مراد، إنما المراد التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة أو على المجتهد في القبلة إذا صلى وتبين له خطؤه. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت. وقيل: عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. وقيل في الآية غير ذلك، ولكن ما ذكرناه يكفيك.

(المثال الثاني): رُوي في الصحيح أن مروان بن الحكم أشكل عليه معنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

وقال: لئن كان امرؤ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون. وبقي في إشكاله هذا حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم

عنه ، واستحمدوا بذلك إليه أي طلبوا منه أن يحمدهم على ما فعلوا. وهنالك زال الإشكال عنه ، وفهم مراد الله من كلامه هذا ووعيده.

(**المثال الثالث**) : أشكل على عروة بن الزبير -رضي الله عنه- أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا... ﴾ (البقرة : ١٥٨).

وإشكاله نشأ من أن الآية الكريمة نفت الجناح ، ونفي الجناح لا يتفق والفرضية في رأيه ، وبقي في إشكاله هذا حتى سأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأفهمته أن نفي الجناح هنا ليس نفياً للفرضية ، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذٍ من أن السعي بين الصفا والمروة من عمل الجاهلية، نظراً إلى أن الصفا كان عليه صنم يقال له: (إساف) وكان على المروة صنم يقال له : (نائلة) وكان المشركون إذا سعوا بينهما تمسحوا بهما . فلما ظهر الإسلام وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك ، فنزلت الآية ، كذلك جاءت بعض الروايات .

لكن جاء في رواية صحيح البخاري ما نصه: فقال (أي عروة) لها (أي لعائشة) : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا... ﴾، فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة. قالت: بئسما قلت يابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه ، كانت (لا جُناح عليه ألا يطوف بهما) ولكنها أنزلت في الأنصار ، كانوا قبل أن يُسلموا يهلون

لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، فكان بعضهم يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة . فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله ﴿ . . . إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية قالت عائشة : (وقد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما) انتهى ما أردنا نقله . ومعنى يهلون : يحجون، ومناة الطاغية : اسم صنم وكان صخرة نصبها عمرو بن لحي بجهة البحر فكانوا يعبدونها . والمشلل بضم الميم واللام الأولى مشددة مفتوحة : اسم موضع قريب من قديد من جهة البحر. وقديد بضم القاف : قرية بين مكة والمدينة المنورة، وكلمة (سن) معناها في هذا الحديث شرع أو فرض بدليل من السنة لا من الكتاب .

وهذه الرواية –كما ترى– تدل على أن عروة فهم من جملة (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أن الجناح منفي أيضاً عن عدم الطواف بهما وعلى ذلك تنتفي الفرضية ، وكأنه اعتمد في فهمه هذا على أن نفي الجناح أكثر ما يستعمل في الأمر المباح . أما عائشة رضي الله عنها فقد فهمت أن فرضية السعي بين الصفا والمروة مستفادة من السنة، وأن جملة (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) لا تُنافي تلك الفرضية كما فهم عروة، إنما الذي ينفيها أن يقال : (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) وإنما توجه نفي الحرج في الآية عن الطواف بين الصفا والمروة؛ لأن هذا الحرج هو الذي كان واقراً في أذهان الأنصار ، كما يدل عليه سبب نزول الآية الذي ذكرته السيدة عائشة فتدبر.

رابعاً : برامج خاصة بالإنترنت

أ- ترجمة معاني القرآن الكريم :

تقسم الترجمة إلى حرفية وتفسيرية، فالترجمة الحرفية هي التي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه وبعض الناس يسمي هذه الترجمة لفظية ، وبعضهم يسميها مساوية. والترجمة التفسيرية هي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة، أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة ولهذا تسمى بالترجمة المعنوية، وسميت تفسيرية لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير .

فالمترجم ترجمة حرفية يقصد إلى كل كلمة في الأصل فيفهمها ثم يستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى مع وضعها موضعها وإحلالها محلها ، ويؤدي ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين في مواقع استعمال الكلام في المعاني المرادة إلفاً واستحساناً.

أما المترجم ترجمة تفسيرية ، فإنه يعمد إلى المعنى الذي يدل عليه تركيب الأصل فيفهمه ، ثم يصبه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى موافقا لمراد صاحب الأصل ، من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كل مفرد ولا استبدال غيره به في موضعه.

ولنضرب مثالا للترجمة بنوعيها على فرض إمكانها في آية من الكتاب الكريم: قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ...﴾ (الإسراء: ٢٩) فإنك إذا أردت ترجمتها ترجمة حرفية ، أتيت بكلام من لغة الترجمة يدل على النهي عن ربط اليد في العنق وعن مدها غاية المد ، مع رعاية ترتيب الأصل ونظامه بأن تأتي بأداة النهي أولا ، يليها الفعل المنهي عنه متصلاً بمفعول ومضمراً فيه فاعله ، وهكذا . ولكن هذا التعبير الجديد قد يخرج في أسلوب غير معروف ولا مألوف في تفهيم المترجم لهم ما يرمي إليه الأصل من النهي عن التقتير والتبذير . بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع الذي صيغ به هذا النهي ويقولون : ما باله ينهي عن ربط اليد بالعنق وعن مدها غاية المد؟! وقد يلصقون هذا العيب بالأصل ظلماً ، وما العيب إلا فيما يزعمونه ترجمة للقرآن من هذا النوع .

أما إذا أردت ترجمة هذا النظم الكريم ترجمة تفسيرية ، فإنك بعد أن تفهم المراد وهو النهي عن التقتير والتبذير في أبشع صورة منفرة منها، تعمد إلى لغة هذه الترجمة فتأتي منها بعبارة تدل على هذا النهي المراد ، في أسلوب يترك في نفس المترجم لهم أكبر الأثر في استبشاع التقتير والتبذير، ولا عليك من عدم رعاية الأصل في نظمه وترتيبه اللفظي .

والترجمة لابد أن تفي بمقاصد القرآن الثلاثة :

أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة كلامه المقدس .

١ - هداية القرآن :

وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة ، وتامة ، وواضحة .

أما عمومها : فلأنها تنتظم الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان . وقال الله سبحانه : ﴿ . . . وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ . . . ﴾ (الأنعام : ١٩) ، وقال جلت حكمته : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا . . . ﴾ (الأنعام : ٩٢) ، وقال عز اسمه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾ (الأعراف : ١٥٨) ، وقال عمت رحمته : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأحقاف : ٢٩-٣٢) .

وأما تمام هذه الهداية : فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من أوجه الهداية كافة ، وانتظمت كل ما يحتاج إليه

الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه وبالكون الذي يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد.

قال جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وقال تعالت حكمته: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠).

إلى غير ذلك من آيات كثيرة.

وأما وضوح هذه الهداية: فلعرضها عرضاً رائعاً مؤثراً، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع، بأسلوب فذ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته من كتاب الكون الناطق، وأمثال خلابة تخرج أدق المعقولات في صورة أجلى الملموسات، وحكم بالغات تبهر الألباب بمحاسن الإسلام وجلال التشريع، وقصص حكيم مختار يقوي الإيمان واليقين ويهذب النفوس والغرائز ويصقل الأفكار والعواطف، ويدفع الإنسان دفعاً إلى التضحية والنهضة ويصور له مستقبل الأبرار والفجار، تصويراً يجعله كأنه حاضر تراه الأبصار في رابعة النهار، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن، يخرجنا استعراضها عما نحن بسبيله الآن.

والمهم أن نعلم في هذا المقام أن الهدايات القرآنية الكريمة منها ما استفيد من معاني القرآن الأصلية ، ومنها ما استفيد من معانيه التابعة، أما القسم الأول فواضح لا يحتاج إلى تمثيل ، وهو موضوع اتفاق بين الجميع . وأما القسم الثاني ففيه دقة جعلت بعض الباحثين يجادل فيه وإنا نوضحه لك بأمثلة نستمدها من فاتحة الكتاب العزيز:

منها : استفادة أدب الابتداء بالبسملة في كل أمر ذي بال ، أخذاً من ابتداء الله كتابه بها ، ومن افتتاحه كل سورة من سوره بها عدا سورة التوبة .

ومنها : استفادة أن الاستعانة في أي شيء لا تستمد إلا من اسم الله وحده ، أخذاً من إضافة الاسم إلى لفظ الجلالة موصوفاً بالرحمن الرحيم ، ومن القصر المفهوم من البسملة على تقدير عامل الجار والمجرور متأخراً ، ومن تقدير هذا العامل عاماً لا خاصاً .

ومنها : استفادة الاستدلال على أن الحمد مستحق لله بأمور ثلاثة : تربيته تعالى للعوالم كلها ، ورحمته الواسعة التي ظهرت آثارها وتأصل اتصافه تعالى بها ، وتصرفه وحده بالجزاء العادل في يوم الجزاء. وذلك أخذاً من جريان هذه الأوصاف على اسم الجلالة في مقام حمده بقوله سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

ومنها : استفادة التوحيد بنوعيه توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية من القصر الماثل في قوله سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ومنها: استفادة دليل هذا التوحيد من الآيات السابقة عليه ووقوعه هو في سياقها عقيبها كما تقع النتيجة عقب مقدماتها.

ومنها: استفادة أن الهداية إلى الصراط المستقيم هي المطمع الأسمى الذي يجب أن يرمي إليه الناس ويتنافس فيه المتنافسون. يدل على ذلك اختيارها والاقتصار على طلبها والدعاء بها ثم انتهاء سورة الفاتحة بها كما تنتهي البدايات بمقاصدها.

ومنها: استفادة أن الهداية لا يرجى فيها إلا الله وحده، لأنها انتظمت مع آيات التوحيد قبلها في سمط واحد.

ومنها: استفادة أدب من الآداب، هو أن يقدم الداعي ثناء الله على دعائه، استنتاجاً من ترتيب هذه الآيات الكريمة، حيث تقدم فيها ما يتصل بحمد الله وتمجيده، وتوحيده، على ما يتصل بدعائه واستهدائه.

هذه أمثلة اقتبسناها من سورة الفاتحة ونحن لا نظن أن أحداً يخاصم فيها.

فحسبنا في هذا الموضوع بيان دلالة نظم القرآن الكريم باعتبار دلالة معانيه الثانوية على هدايات متنوعة من عقائد وأحكام وآداب وأدلة ولطائف، دقيقة الطرق، لطيفة المسالك. ومن شأن القرآن الكريم الدلالة على هداياته باعتبار معانيه الأصلية فإنها واضحة قل أن يقع فيها تفاوت أو خلاف، لأن هذه المعاني -كما قررنا- يستوي فيها العربي والعجمي، والحضري والبدوي.

٢ - إعجاز القرآن :

المقصد الثاني من نزول القرآن الكريم : أن يقوم في فم الدنيا آية شاهدة برسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يبقى على جبهة الدهر معجزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق ظاهراً على الدين كله ! إن بلاغته العليا وجه بارز من هذه الوجوه . بل هي أبرز وجوهه وجوداً وأعظمها أفراداً؛ لأن كل مقدار ثلاث آيات قصار معجز ، ولو كان هذا المقدار من آية واحدة طويلة فقد تحدى الله أئمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله ، وأقصر سوره هي سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث قصار . وإذا كان أئمة البيان في عصر ازدهاره والنبوغ فيه ، قد عجزوا فسائر الخلق أشد عجزاً . ولقد فرغنا من أن بلاغة القرآن منوطة بما اشتمل عليه من الخصوصيات والاعتبارات الزائدة، وأنت خبير بأنها سارية فيه سريان الماء في العود الأخضر أو سريان الروح في الجسم الحي، وأن نظم القرآن الكريم مصدر لهدايته كلها، سواء منها ما كان طريقه النظم وما كان طريقه تلك الخصوصيات الزائدة عليه .

٣ - التعبد بتلاوة القرآن :

المقصد الثالث من نزول القرآن : أن يتعبد الله خلقه بتلاوته، ويقربهم إليه ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ولو من غير فهمه، فإذا ضموا إلى التلاوة فهماً زادوا أجراً على أجر، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٩، ٣٠) .

وقد سبق الترغيب من السنة وما فيه من الثواب على التلاوة.

وبعد أن علمنا المقاصد التي يستصحبها المترجم نذكر جهود المترجمين المسلمين خلال القرن الهجري الماضي.

وتعد ترجمة الدكتور عبد الحكيم خان والتي طُبعت بلكنو بالهند عام ١٩٠٥م - ١٣٢٣هـ أول ترجمة قام بها مسلم إلى اللغة الإنجليزية. وهناك ما يقرب من حوالي سبع عشرة ترجمة كاملة أو مختارات قام بنقلها مسلمون إلى اللغة الانجليزية مثل ترجمة محمد ماديوك بيكتهال، والتي ظهرت في لندن عام ١٩٣٠م - ١٣٤٩هـ.

(ب) القرآن الكريم يوافق العلم ولا يعارضه :

إذا تكلم القرآن على شيء من فنون الطب والصناعة والزراعة فإنما يريد أن يوجه الإنسان إلى الإيمان بوجود خالق مبدع لكل الكائنات وإلى ما فيها من خواص طبيعية وقوانين علمية وترتيبات سببية، ويريد أن يحيا معها ضمن عقيدة سليمة وتفكير قويم، وأن يستخدمها في أسلوب صحيح وأخلاق سامية.

وهذه آيات قرآنية لها مساس بعلم الطب، تضيء الإيمان في جنبات النفس، فيستنير الفكر بإشعاعات اليقين بالخالق المبدع جل في علاه. وهي في الوقت ذاته توضح الحقائق التي توصل إليها العلم الحديث، وذلك يبث في أعماق النفوس معجزة القرآن المتفجرة في كل آن الخالدة على مر الزمان، فكما أن العصر الأول وجد فيه البلاغة في

صدق دعواه فإن الناس اليوم يجدون فيه سلسلة لا نهاية لها من الإعجاز سواء في النظام الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو منهجه التربوي والخلقي أو في إشاراته العلمية للكون والخالق مع التنبيه على أن القرآن لم يكن كتاباً في الطب أو في أي فرع من العلوم، وإنما هو منهج هداية ضرب الله فيه للإنسان المثل من كل شيء ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ . . . ﴾ (الكهف : ٥٤) .

فحث القرآن المسلم على التعلم والبحث والتأمل حتى غدت آيات القرآن الكريم معلماً في طريق العلم تمده في مسار صحيح ليؤدي وظيفته في حياة البشر .

ولنعلم أن شقاء البشرية رغم التقدم التكنولوجي الكبير يعود إلى اندفاعها في ركب العلم على غير هدى وبدون أية ضوابط أخلاقية أو إنسانية .

ولم يفد الدول المتقدمة تكنولوجياً علومها عن مضار الخمر والمخدرات والزنى في الحد من ويلاتها المدمرة، كما لا نستغرب إذ نسمع أن معدلات العمر الوسطي للبدء في التدخين في الدول الاسكندنافية (السويد والدانمرك والنرويج) هو ثمان سنوات . وهذه هوة واسعة بين علم الإنسان وواقعه ، لا توجد بين تعاليم القرآن وواقع المسلم الحق . . وإنما نجد إيماناً صادقاً يطابقه عمل صالح . فكان لابد من الإشارة إلى هذا التقدم القرآني عبر الإنترنت جذباً للقلوب لتتشوق

إلى معرفة القرآن مع ملاحظة عدم تحميل آيات القرآن أكثر مما تحمل ، وتجنب تطويعها للمعطيات العلمية ، ولا تفسر بما وصل إليه العلم الحديث إلا بعد أن تكون المعطيات العلمية حقائق ثابتة ، حتى نصل إلى أن القرآن بهذا السبق معجز حين طرق فروع الطب ابتداء بعلم الأجنة ومروراً بعلم التشريح الوصفي والنسيجي وعلم الطفيليات والجراثيم وانتهاءً بدراسة الأمراض الجهازية المختلفة .

كيف كانت دهشة الأطباء حينما تعرض القرآن لأهم مشكلات العلوم الحديثة التي غمضت على علماء الاختصاص كتعرضه لمسألة بدء الخلق وعملية تمايز أعضاء الجنين المختلفة ونعرض نموذجاً من ذلك .

أطوار التخلق الإنساني[1] :

قال تعالى في سورة نوح : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح : ١٣-١٤) . يبين تبارك وتعالى أن تخلق الإنسان إنما يتم على أطوار متتالية، ثم يشير في سورة المؤمنين إلى أهم هذه الأطوار حيث يقول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون : ١٢-١٤) .

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم للدكتور / عبدالحميد دياب ، د/ أحمد قرقوز، مؤسسة علوم القرآن دمشق، ص ٨٠ وما بعدها .

إن الناظر اليوم ، في هذه الآيات البينات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الأجنة Embryology يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خَصَّه هو بهذه الآيات ، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم !!.

فهذه الآيات تحوي –على إيجازها– أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه، وهي (النطفة، والعلقة، والمضغة، ومرحلة تخلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر) هذه الأطوار التي استخدم لها القرآن ألفاظاً لم يستطع العلم الحديث إلا أن يستخدمها، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت –إضافة لإعجازها العلمي– بإعجاز بلاغي فريد ومدهش .

والآن لنسر مع آيات القرآن في تلك الأطوار التي أشارت إليها :

– من النطفة إلى العلقة: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً . . . ﴾ (المؤمنون: ١٤)

ما إن يتم التحام النطفة بالبيضة ، حتى تباشر البيضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين ، فأربع ، فثمانٍ ، وهكذا ... دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البيضة الملقحة ، وتتم عملية الانقسام هذه والبيضة في طريقها إلى الرحم ، تدفعها حركة أهداب البوق ، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق، حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة ، يطلق عليها اسم التوتة Marula حيث تشبه ثمرة التوت بتقسيمها الخارجي ، ثم لا

تلبث الخلايا السطحية لهذه الكتلة أن تفترق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا أسطوانية، ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية Troph blast وبذلك يصبح محصول الحمل قابلاً للتعشيش، فتغرس الخلايا المغذية استطالاتها في مخاطية الرحم، وتستمر عملية العلوق مدة (٢٤) أربع وعشرين ساعة ، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة. وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقة إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقاً -وليس التصاقاً- بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطية الرحم، وما أجدرنا هنا أن نُعرِّج على هذه الآيات التي تذكر الإنسان بتلك اللحظات التي كان فيها مجموعة خلوية عالقة بجدار رحم الأم، تستمد منها الدفء والغذاء والسكن، فيقول في أول سورة نزلت من القرآن ، وأسماها الحق تبارك وتعالى بالعلق ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (العلق: ١-٢).

- من العلقة إلى المضغة: ﴿ ... فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ ... ﴾ (المؤمنون: ١٤).

بعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث، بتشكل اللوحة المضغية، وذلك ابتداءً من الخلايا المضغية Embryoblast ، وهي الخلايا التي بقيت بعد انفصال الخلايا المغذية. واللوحة المضغية هي عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين: خارجية Ectoderm ، وداخلية

Endoderm ، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة Mesoderm ، وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز ، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غير المخلقة. ثم يمر الحمل في أدق مراحله وأصعبها، حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الأسبوع الخامس، وتسمى بعملية التمايز Defferention ، أو كما أسماها القرآن (التخلق) ، فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيلاً واحداً من أجهزة الجسم أو أعضائه، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة ، وهي تنمو وتتطور، ليكون الإنسان في أحسن تقويم ، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً،ويكون طول الجنين عندها (١٠) سم ، ويزن حوالي (٥٥)غ، ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلقة. فطور المضغة يمر إذاً بمرحلتين: المرحلة الأولى حيث لم يتشكل فيها أي عضو أو جهاز وأسميناها مرحلة المضغة غير المخلقة، وهكذا يتضح جلياً إعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله: ﴿ ... ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ... ﴾ (الحج: ٥).

اللغز المحير: لابد أن يستوقفنا ونحن نتكلم على عملية التخلق سؤال هام ، وهو: كيف يمكن للخلايا المضغية Embryoblast المتماثلة تماماً في بنائها أن تعطي هذه الوريقات الثلاث (الداخلية والخارجية والمتوسطة)

المختلفة بعضها عن بعض؟، ثم كيف يمكن للخلايا المتماثلة في كل وريقة على حدة أن تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟ . . . فالوريقة الخارجية مثلاً يتشكل منها: الدماغ ، والأعصاب ، وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والأشعار والأغشية المخاطية بالفم والأنف. والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب والأوعية الدموية ، والدم ، والعظام ، والعضلات ، والكليتان ، وأدمغة الجلد ، وقسم من الغدد الصماء أما الوريقة الداخلية ، فيتشكل منها: مخاطية الجهاز التنفسي ، والطريق الهضمي ، والغدة الدرقية ، والغدة جار الدرقية ، والكبد ، والبنكرياس .. أجل ،كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا: من مراكز التفكير والشعور والإبداع؟ وكل هذا: من مصانع الدم والسكاكر والبروتين؟ وكل هذا: من أجهزة التكيف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية والأمن في الجسم؟ إنه اللغز الذي حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة ، هو الله. . . ويوم يَصِلون إلى حل هذا اللغز فسيوقنون أكثر أنه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٤).

ويتمالكنا العجب ونحن نرى أن القرآن قد أشار لهذا اللغز ، في آيات تعد منارات هداية على طريق العلم ، وبواعث تدفع للبحث

والتحليل باستمرار ، فقال تعالى في سورة الحج : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ ، ثم يؤكد هذه الناحية حيث يقول في سورة المؤمنون ﴿ ... فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ... ﴾ فهذه الآية لا تشير فقط إلى بدء تشكل العظام قبل تشكل اللحم (العضلات)، كما لا تقتصر على الإبداع التعبيري الواقعي في تصوير علاقة العضلات بالعظام على صورة علاقة كساء. ومن يدرس التشريح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كأنها كساؤها ... أجل لا تقتصر الآية على ذلك فقط، وإنما تشير في تقديرنا إلى عملية التمايز والتخلق التي تبتدئ من تلك المضغة الصغيرة: ﴿ ... فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ... ﴾.

- ﴿ ... ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ ... ﴾ (طور الجنين).

يميل محصول الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل ، حتى إن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية ، كالقلب وجهاز الهضم ، ويقوم نقي العظام بتكوين عناصر الدم.

وبشكل عام فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة ، ونبضات القلب واستقلاله ، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل .

أما الحركة فتبدأ في آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة ، والعضلات ، وتشعر الحامل

بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع ، أو قبل ذلك في المولودات .
أما نبضات القلب ، فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع ، ويمكن سماعها أيضاً ، وتكون واضحة في الشهر الخامس .

وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغددي ، فهو مباشرتها بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية ، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض .

أما نمو الجنين فيكون سريعاً في هذه المرحلة ، فبعد أن كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (٥٥) غ ، وطوله (١٠) سم ، يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (٣٢٥٠) غ ، وطوله (٥٠) سم، وخلال هذه الفترة يتكامل شكله الخارجي ، فيصبح لون الجلد أحمر ، وتنبسط تجعداته، وتسقط عنه الأوبار ، وتنفتح الجفون، وتتكامل الأظافر . . .

وبهذا الاستعراض السريع لأهم ميزات هذه المرحلة نجد أن تلك المضغة قد أخذت بعداً آخر ، اكتسبت فيه قدرة على الحركة ، وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف ، ولهذا أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين ، حيث قال : ﴿ ... ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ... ﴾ . ولعل أكثر الناس شعوراً بهذا البعد ليس الطبيب وإنما الأم الحامل التي ما إن تشعر بحركات جنينها حتى تحس بشيء لم تعهده من قبل ، إنها تحس أن روحاً أخرى تدب في أعماقها ، فتظهر علامات الارتياح على ملامحها ، وتعلو البسمة محياها ، وإذا ما غابت عنها تلك الحركات مدة بسيطة ، قلقت وتأرقت .

وأبعد من هذا فقد وجد العلماء أن الجنين يبدأ في آخر الحمل بالسماع ، ومما يسترعي سمعه وهو في بطن أمه ،ذلك الصوت الحنون الخالد الذي لا يعرف إلا الحب والحنان والعطاء ... إنه صوت خفقان القلب الكبير ... قلب أمه ، وهكذا تنشأ صلات الحب والمسؤولية بين الأم ووليدها ، في الوقت الذي تعاني فيه الأم من الوهن والعذاب ما لا يحتمله غيرها ، ولذلك قال تعالى في سورة لقمان:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

وبعد أن وقفنا على أطوار خلقنا البديعة المدهشة ، هل لنا أن نقدر الله حق قدره؟ ، هل لنا أن نرجو لله وقاراً؟

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح: ١٣-١٤).

- **تشخيص الحمل اليقيني والعدة:**

إن الشعور بحركة الجنين ، وسماع نبضات القلب ، هما العلامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل ، وكل العلامات التي تسبقها كانقطاع الطمث ، وأعراض الوحام ، وحتى إيجابية تفاعل الحمل الحيوي ، لا تعد علامات يقينية نستطيع على أساسها القطع بحصول الحمل ، فهناك حالات مرضية ، يمكن أن تعطي نفس الأعراض.

وكما لاحظنا أن هاتين العلامتين: شعور الحامل بحركة جنينها ، وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين ، يحصلان بعد الشهر الرابع ، وهذا ما بينه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام ، حيث قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا . . . ﴾ (البقرة : ٢٣٤) .

إن وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهر بلا شك ، وهي تقرر ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها ، حيث حددت وبالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقينياً .

أما عن الحكمة في هذه العدة فيعلمها الأطباء الشرعيون ، إذ يجب أن يعرف ما إذا كان الحمل من الزوج المتوفى أو لا ، وحتى لا تنسب المرأة حملاً حملته سفاحاً لزوجها المتوفى ، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوة الجنين الجديد لأبيه بغية التخلص من ميراثه،ويتهمون الأم البريئة بأن حملها هذا كان سفاحاً أو من زوجها الجديد . . . وإلى آخر ما هنالك من المشكلات أو المظالم التي قد تقع .

وأحب ألا أنتهي من هذا الموضوع حتى أنبهك على شيء آخر جدير بالنظر والتقدير: وهو أن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم ، وفتح عيونهم إلى الكون وما في سماء وأرض، وبر وبحر وحيوان ونبات ، وظواهر ؛ ونواميس وسنن . وكان القرآن في طريقة عرضه معجزاً كل الإعجاز؛ لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العليم بأسرارها ، الخبير بدقائقها، المحيط بعلومها ومعارفها، على حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أمي، نشأ في أمة أمية جاهلة، لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها . بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة

ومهبط الوحي بقرون وأجيال. فأنى يكون لرجل أمي كمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم؟ قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

فانظر إلى قوله في سورة القيامة مبيناً ومقرراً اقتداره على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣-٤). أرجو أن تقف قليلا عند تخصيصه (البنان) بالتسوية في هذا المقام، ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الشخصية) في عصرنا الأخير، وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان، هو تسوية البنان، حتى إنه لا يمكن أن تجد بناناً لأحد يشبه بنانَ آخر بحال من الأحوال. وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكَّموا البنان في كثير من القضايا والحوادث، فتبارك الله أحسن الخالقين! ولا أريد أن أطيل عليك في هذا الموضوع؛ فمعجزات القرآن العلمية لها ميدان آخر. إنما هي نظرة خاطفة نوضح بها المراد بعلوم القرآن والله وحده هو المحيط بأسرار كتابه. ولا يزال الكون وما يحدث في الكون من علوم وفنون وشؤون لا يزال كل ذلك يميط اللثام عن نواح كثيرة من أسرار القرآن وإعجازه، مصداقاً لقوله جلَّ ذكره ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ (فصلت: ٥٣).

﴿ ... وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١).

خاتمة وتوصيات

وسائل الإعلام الصحيح لابد أن تنطلق من منطلق إسلامي يتمثل في :

١- خضوع المبادئ والأسس الإعلامية للمنطلقات الإيمانية والقيم الفاضلة حتى يمكن تطبيقها عملياً .

٢- الاستيعاب الجيد لتقنيات الوسائل الإعلامية الحديثة حتى يمكن تطبيق هذه التقنيات وممارستها في إنتاج المواد الإعلامية المختلفة .

٣- الحرص على احتواء المواد الإعلامية وصبغها بالصبغة الإسلامية .

٤- العناية والتركيز على نشر اللغة العربية وآدابها وفنونها .

٥- الاهتمام بواقع العالم الإسلامي وحاضره اليوم .

إن العالم الإسلامي المعاصر يعيش الآن مرحلة من أخطر المراحل؛ إذ أصبح عالمنا اليوم يعيش ثورات في المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا .

ويحتاج المسلمون اليوم لإثبات دورهم ومواجهة شتى التيارات التي تحيط بهم من كل جانب -بعد الإيمان بالله والثقة في نصره- إلى أسس يسيرون عليها :

١- ضرورة التزام الشرع وإعمال العقل والبعد عن الخرافات والأوهام .

٢- الإقبال بكل همة على العلم بجميع مجالاته والتنافس من أجل التفوق فيه.

٣- الوعي بأن إعمار الأرض يعد مسؤولية دينية تحقق إرادة الله الذي أمرنا بذلك في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ . . . ﴾ لنعلم من ذلك أن الحضارة فريضة إسلامية.

٤- تغليب المصلحة العامة للمسلمين على المصالح الذاتية للأفراد والجماعات، والتنسيق والتكامل والتعاون في جميع المجالات.

٥- التسلح بثقافة رشيدة من شأنها دفع المسلمين إلى العمل وإتقانه وإلى الإنتاج وتجويده، وإلى تحويل الطاقات المعطلة في بلاد العالم الإسلامي إلى طاقات فعالة تبني وتعمر، وتنشر الخير في كل مكان.

المراجع

– الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط.الحلبي بمصر.

– الإذاعة الدولية ، دراسة مقارنة لنظمها وفلسفتها د/ سهير عبدالغني بركات ١٩٧٨م.

– الإعلام الإسلامي التحديات والمواجهة أ. د/ماجي الحلواني ط.مصباح جدة ١٤١١هـ.

– الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية أ. د/محيي الدين عبدالحليم. ط ٢ مكتبة الخانكي بالقاهرة ١٤٠٤هـ .

– البرهان في علوم القرآن للزركشي ط. دار التراث العربي القاهرة.

– البيان والتبيين للجاحظ .

– تذكرة السامع لابن جماعة .

– التراتيب الإدارية للكتاني .

– تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي أ. د/ماجي الحلواني ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٨م.

– الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي بين دول الخليج د/ حمود عبد العزيز البدر ، الرياض مكتب التربية العربية لدول الخليج ١٤٠٩هـ.

– حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني .
- سراج الملوك ، للطرطوشي .
- سنن أبي داود ، دار الفكر - بيروت مراجعة محمد محيي الدين عبدالحميد .
- سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي بيروت مراجعة أحمد محمد شاكر وآخرين .
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري .
- صحيح البخاري ، دار ابن كثير - بيروت ١٤٠٧هـ مراجعة مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٤هـ مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي .
- عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري .
- غاية النهاية لابن الجزري .
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني .
- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن .
- المبادئ العامة للتربية أ . د / محمد الفزار ، وصالح الشهري ط . دار جرش، خميس مشيط ١٤١٠هـ.
- المجتبى للنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب - ١٤٠٦هـ مراجعة عبد الفتاح أبو غدة .

- مجلة سعودي شوبر العدد الخامس السنة الثانية يناير ٢٠٠٠م.
- المحاسن والمساوي، للبيهقي.
- محاضرات الأدباء، للأصفهاني.
- المربي والتربية الإسلامية أ. د/محمد أحمد عبد الهادي دار البيان العربي - جدة ١٤٠٤هـ.
- مستدرك الحاكم، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ مراجعة مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ط: الميمنية بمصر.
- مع الطب في القرآن الكريم للدكتور/عبد الحميد دياب وآخر ط. مؤسسة علوم القرآن دمشق ١٩٨٢م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي.
- مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم للشنقيطي، عالم الكتب بالرياض ١٤٠٦هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/محمد عبد العظيم الزرقاني، ط الحلبي - القاهرة.
- منجد المقرئين لابن الجزري.
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري.
- النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية أ. زين الدين الركابي، بحث منشور مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقدة بالرياض ١٣٩٦هـ.

الفهرس